

موقف سلاطين المماليك البحرية من الوجود السياسي لحكام اليمن
في مكة المكرمة

(٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م)

الدكتور: مسعود محمود عبادي

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي بكلية الآداب،
جامعة جنوب الوادي بقنا

المخلص

أسهم الحج كمناسبة دينية مقدسة في تدفق المسلمين من شتى الأماكن والبلدان إلى مكة والمدينة. ولا شك أن السلطات الإسلامية الحاكمة كانت حريصة على شرف الحصول على خدمة هذه الأماكن المقدسة؛ فهذا الأمر لم يكن يترتب عليه رفع المكانة والمنزلة الدينية لتلك السلطات بين الشعوب الإسلامية فحسب، وإنما كان كذلك يزيد من مكانتها ونفوذها السياسي في العالم الإسلامي.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تلقي الضوء على النزاعات التي قامت ما بين سلاطين المماليك البحرية في مصر وسلاطين بني رسول في اليمن من أجل فرض ووسط الهيمنة على تلك البقاع الحجازية، ذات الأهمية الدينية والسياسية والاقتصادية في ذات الوقت، التي يمكن مناقشتها من خلال مبررات التوجه المملوكي للتوجه إلى مكة وسبل المماليك في الحد من النفوذ اليمني في مكة المكرمة ومظاهرها مع التطرق إلى كسوة البيت الحرام، وتقديم ذكر السلطان المملوكي في الدعاء والخطبة. والأماكن المكية التي حرص المماليك على وجودهم السياسي فيها. وموقف المماليك من ركب الحجيج اليمني ثم الخاتمة وبها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، ويليهما قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة

الكلمات المفتاحية: اليمن؛ المماليك؛ الكسوة؛ بنو رسول

• **Abstract**

Pilgrimage, as divine religious occasion, contributed to overflowing and increasing numbers of Muslims from several places and countries to Mecca and Medina. Undoubtedly, governing Islamic authorities were so keen to have honor of serving such divine places. This is because such a matter did not only raise the position and religious stance of those authorities among Muslim people, but this also contributed to increasing and extending its religious position and sovereignty in the Islamic world.

Accordingly, significance of this study stems from shedding light to the struggles that existed between Sultans of the **Bahari** Memlukes in Egypt and Sultans of Bani Rasoul in Yemen for having dominance and sovereignty over the concerned divine places in Hejaz (which have religious, political, and economical significance at this time). Such significance could be discussed and illuminated through investigating the Memlukes' justification to pay particular attention to Mecca as well as investigating the Memlukes' procedures and methods to limit the Yemeni existence there. This is in addition to describing its features through discussing the issue of Al-Ka'ba attire and foregrounding the mention of the Memluke Sultan in both the supplication and the speech. This is in addition to pinpointing the Meccan places where the Memlukes were keen to exist and investigating their position concerning the caravan (procession) of Yemeni pilgrims. Then, the research ends with a conclusion including the most significant findings, followed by a list of sources and references that the study relied on.

Keywords: Memlukes- Yemen's- the issue of Al-Ka'ba

مقدمة:

الحج والعمرة لهما الأثر الكبير في التواصل بين اليمن والحجاز ، فمكة المكرمة مهوى الأفتدة ومطمح الأنفس، ارتبطت أرضها بأداء ركن من أركان الإسلام ، وهو الحج، فقل أن نجد ملكاً أو عالماً أو أديباً إلا قصدها، وقصد المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي^(١)، وذلك استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٢). فقد أسهم الحج كمناسبة دينية مقدسة في تدفق المسلمين من شتى الأماكن والبلدان إلى مكة والمدينة. ولا شك أن السلطات الإسلامية الحاكمة كانت حريصة على شرف الحصول على خدمة هذه الأماكن المقدسة؛ فهذا الأمر لم يكن يترتب عليه رفع المكانة والمنزلة الدينية لتلك السلطات بين الشعوب الإسلامية فحسب، وإنما كان كذلك يزيد من مكانتها ونفوذها السياسي في العالم الإسلامي. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تلقي الضوء على النزاعات التي قامت ما بين سلاطين المماليك البحرية في مصر وسلاطين بني رسول في اليمن من أجل فرض وبسط الهيمنة على تلك البقاع الحجازية، ذات الأهمية الدينية والسياسية والاقتصادية في ذات الوقت، التي يمكن مناقشتها من خلال المباحث التالية:

- المبحث الأول: مبررات التوجه المملوكي للتوجه إلى مكة.
- المبحث الثاني: سبل المماليك في الحد من النفوذ اليمني في مكة المكرمة ومظاهرها. وفيه سيتم التطرق إلى كسوة البيت الحرام، وتقديم ذكر السلطان المملوكي في الدعاء والخطبة.
- المبحث الثالث: الأماكن المكية التي حرص المماليك على وجودهم السياسي فيها.

• المبحث الرابع: موقف المماليك من ركب الحجيج اليمني

وبعد ذلك تأتي الخاتمة وبها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، ويليهما قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

• أولاً: مبررات التوجه المملوكي للتوجه إلى مكة.

يعد الحجاز الحاجز الأمني لحدود مصر الشرقية التي يحدها البحر الأحمر التي تمد الشواطئ المصرية عليه بمثابة منطقة مكشوفة أمام أي هجوم بحري من الشواطئ الحجازية ومن هنا كان اهتمام مصر دائماً بإقليم الحجاز على مر العصور، فلما دخلت مصر تحت راية الإسلام زاد العامل الديني من أهمية الحجاز بالنسبة لمصر وحكامها المسلمين، وعندما تولى السلطان الظاهر بيبرس حكم دولة المماليك الناشئة لم يكن وضعه السياسي والعسكري مختلفاً عن وضع الذين سبقوه من الحكام، وصارت دوافعه تمثل دوافع دولة المماليك؛ للسيطرة على الحجاز، بل كانت أكبر من دوافع غيره؛ وذلك للحاجة للحرمين الشريفين التماساً للشرعية التي يفتقر إليها حكم المماليك، ومن ثم كان عليه مواجهة أصحاب النفوذ الفعلي بالحجاز وهم بنو رسول.

وفي الجانب الآخر، بقيام الدولة الرسولية التي حكمت اليمن في الفترة من ٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، بدأت التطلعات اليمنية تزداد من أجل بسط النفوذ على بلاد الحجاز. في الوقت نفسه فإن بلاد الحجاز لم تنعم بالاستقرار السياسي ما قبل قيام دولة المماليك؛ وذلك نظراً للصراعات والنزاعات ما بين السلطة الأيوبية- في أواخر أيامها- وبين دولة بني رسول، وهو الأمر الذي انتهى بخضوع الحجاز لتلك الأسرة اليمنية الناشئة). من هنا فقد رأى سلاطين المماليك- منذ قيام دولتهم- ضرورة الاتصال بحكام الحجاز ومحاولة الدخول معهم في علاقات وثيقة، حتى يتمكنوا من مد النفوذ إلى أرض الحرمين، إلا أن هذا ليس بالأمر السهل حيث التنافس بين القوى المعاصرة،

مثل: الحفصيين^(٣) والرسوليين، وكذلك أطماع المغول الإيلخانيين الذين حرصوا على إيجاد فرصة الوجود بالحجاز^(٤).

وكان على إمرة مكة- آنذاك أي وقت صعود دولة المماليك وظهور التنافس الرسولي والمملوكي- الشريف الحسن بن علي بن قتادة الذي ساعدته ظروف انشغال المماليك بتوطيد حكمهم، وصد العدوان المغولي والصليبي. وكذلك انشغال الملك المظفر يوسف (٦٤٧-٦٩٤هـ / ١٢٤٩-١٢٩٥م)^(٥) الذي خلف والده المنصور (٦٢٦-٦٤٧هـ / ١٢٢٩-١٢٤٩م) عمر بعد وفاته^(٦)، وظلت إمارة الأشراف بضع سنوات ينتابها شيء من الاضطراب والانقسام الداخلي بين الأشراف أنفسهم، حتى تولى أبو نمي^(٧) إمارتها سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م بمشاركة عمه إدريس بن قتادة^(٨).

كما أنّ هناك عائقًا آخر بدا أمام موقف سلاطين المماليك البحرية من الوجود السياسي لليمن في مكة المكرمة تمثل في الاختلاف المذهبي بين الأشراف والمماليك^(٩)، مما حدا سلاطين المماليك إلى محاولة استخدام شتى الوسائل لتوثيق الصلات وتعزيز العلاقات مع أهل الحجاز، ففي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م أصدر الخليفة العباسي المستنصر بالله في مصر مرسومًا بتقليد السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٨م) البلاد الحجازية، وتلقب بخادم الحرمين الشريفين^(١٠)، ويشير هذا إلى توجه السلاطين المماليك إلى مد نفوذهم السياسي إلى الحجاز، ومحاولة جذب انتباه المسلمين غير أنّ القصد من التوجه للحجاز إن كان حمل مطعمًا دنيويًا فهو في الوقت نفسه قدم خدمة ورعاية لقاطني أرض الحرمين، وحمايتهما من الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي، لاسيما بعد المكانة التي اكتسبوها بانتصارهم على التتار بمعركة عين جالوت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م إذ لاقت أخبار هذه الانتصارات احترام العالم الإسلامي لهم على الصعيدين السياسي والشعبي، وما يدل على ذلك كسوة الكعبة من قبل صاحب اليمن بعد سفر الحاج المصري رغم تفرده بكسوتها بعد العباسيين ،

وكذلك جعل الدعاء له بعد الدعاء لسلطين المماليك^(١١)، رغم أن هذا العصر اتسم بالتنافس بين الرسولين باليمن والمماليك على فرض السيادة بالحجاز.

بيد أن التنافس بين الشريفين أبي نمي وعمه إدريس أسهم في تعزيز وجودهم بالمنطقة، إذ نجد أنَّ الأميرين يميلان عند الخصام إلى الطرف الذي لم يواليه الآخر، مما أذكى روح التنافس بين القوى السياسية لفرض السيادة عليها، ففي سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م انتهز المماليك الفرصة بفض النزاع بينهما بعد أن رتب السلطان بيبرس لهما مبلغًا ماليًا كبيرًا قيمته "عشرون ألف درهم نقرة في كل سنة"، مقابل تسبيل -أي تسبيل الماء- الحرم للزائرين، والخطبة له، وسك العملة باسمه، وحسم النزاع بين الشريفين على يد الظاهر بيبرس^(١٢).

عاشت مكة معظم النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي في حالة شبه مستقرة سياسيًا، بفضل ولايتها من قبل أبي نمي^(١٣)، وكذلك الاحترام الذي حظي به سلاطين المماليك من القوى السياسية المنافسة له على الحجاز لاسيما الرسولين باليمن، وقد تجلى ذلك بموقف سلطانها الملك المظفر عند حجه سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م^(١٤).

وإذا كان إحياء الخلافة يأتي من جانب الدولة صاحبة الفضل في وقف الخطر التنري، وصاحبة القوة اللازمة لمواجهة الخطر الصليبي؛ فإنَّ تأييد الناس لهذه الدولة سيكون بلا حدود، وكانت تلك مناورة سياسية ذكية من قبل سلاطين المماليك، إذ جعلوا دولة المماليك تبدو صاحبة الفضل على العالم الإسلامي بإحيائها الخلافة العباسية^(١٥).

أمَّا عن بلاد الحرمين في السياسة المملوكية؛ فنلاحظ أنَّ مسألة حماية الحرمين الشريفين غدت مهمة جدًا لدولة المماليك الناشئة؛ لذا نرى توجه أنظار السلاطين إليها، لكونهم أصحاب الحق الشرعي بها وعملا بتقليد الخلافة لهم بحكم البلاد التابعة لها^(١٦)، مما أسهم في ظهورهم السياسي، ولإكمال ذلك لا بُد من بسط نفوذها على البحر الأحمر حيث طريق التجارة كبعد اقتصادي، وكذلك

على الحجاز حيث الحرمين الشريفين كبعد ديني يقنع العامة بسلطنتهم. وهو ما ساعد على استقرار أوضاع الحجاز ومدى رضا عامة السكان على حكم المماليك والثقة بقوتهم السياسية والاقتصادية وهدفهم الديني الحفاظ على الحرمين الشريفين^(١٧).

ومما يلاحظ في فترة سلطنة الناصر شهدت تقارب اليمن وسلطانها مع الناصر محمد، تزامناً مع استفحال النفوذ المملوكي بالحجاز وذلك بمساعدة الحامية العسكرية التي كانت تصاحب ركب الحاج المصري، والتي كانت من القوة لدرجة مكنتها من تحقيق مهامها، بل كانت كفيلة بإنزال الرعب في قلوب الدول المجاورة، فمثلاً عام ١٣٠٤هـ/١٣٠٤م أخذ صاحب اليمن كل احتياطاته العسكرية، ووزع قواته في كل مكان خوفاً من احتلال بلاده من قبل الحامية المصاحبة للحاج المصري، والتي وصفها "بالجيش"^(١٨). ومن جانبهم كان سلاطين المماليك يعملون على تنمية هذا الشعور لدى حكام المنطقة من وقت لآخر للتأكيد على زعامة الركب المصري من ناحية، واستعراض القوة المملوكية حتى تسير الأمور وفق ما يريده حكام مصر من ناحية ثانية^(١٩).

• ثانياً: وسائل المماليك للحد من النفوذ اليمني في مكة المكرمة

أ- كسوة البيت الحرام

رمت سياسة المماليك إلى تخليص الحجاز من يد الرسولين بأن أمر السلطان الظاهر بيبرس بنزع الشواهد الرسولية بمكة مثل المنبر الذي وضعه السلطان المظفر يوسف بن رسول سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م في المسجد النبوي، ووضع بدلاً منه منبراً آخر^(٢٠). ولتأكيد ذلك بعث كتاباً إلى المظفر صاحب اليمن جاء فيه: "سطرته من مكة المشرفة وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة... الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده... فإن كنت ملكا فاخرج والتق التتار"^(٢١) وأيضاً -من قبل- أمر بكسوة الكعبة سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م كأول من كساها من ملوك الترك بمصر^(٢٢). ولإيمانه بأهمية

جذب ود العامة وغرس ثقفتهم بسادتهم على الحجاز أمر بالطواف بكسوة الكعبة في القاهرة قبل خروجها إلى الحرمين^(٢٣).

وصارت مسألة كسوة الكعبة أحد المحاور الرئيسية في السياسة المملوكية تجاه الحجاز؛ للحفاظ على حمايتهم للحرمين^(٢٤)، وهي السياسة التي لم تقتصر على بيبرس وحده، بل اجتهد السلاطين المماليك البحرية في تثبيتها ولم يرض أي سلطان مملوكي - في عصر البحرية- أن ينال أحد هذا الشرف سواهم، ومثال ذلك ما حدث سنة ٧٥١هـ/١٣٥١م، عندما أراد السلطان اليمني المجاهد علي بن رسول أن يكسو الكعبة من عنده باسمه^(٢٥)، و يولي أيضاً اخوان عجلان على إمارة مكة، فما كان من عجلان إلا أن دخل على أمير الحج المصري بزلار^(٢٦) وأخبره بأمر سلطان اليمن؛ فقام أمير الحج المصري بمنعه، واشتبك معه في معركة على جبل عرفات انتهت بالقبض عليه، ووضعه في الحديد، وحمله بكسوته إلى مصر^(٢٧).

ويلاحظ أن ذلك حدث في مرحلة ما بعد وفاة السلطان الناصر محمد التي اضطرت فيها دولة المماليك، وانشغلت بأزماتها الداخلية، مع تزايد النفوذ الرسولي بالتقرب إلى أمراء مكة، في ظل ضعف الشريف رميثة^(٢٨) الموالي للمماليك. فعلى سبيل المثال: في موسم سنة ٧٥٢هـ/١٣٥٢م حج الملك المجاهد صاحب اليمن، وقد وجد ميلاً وتحفيزاً له من قبل الأشراف، مما شجعه على التدخل بشؤون الحجاز، لاسيما بعدما أظهر له الشريف ثقبه وأعوانه الميل إليه، والظفر بكسوة الكعبة بانتزاعها من السلاطين المماليك، فكانت ردة فعل أمير الحج المصري الأمير طاز^(٢٩) أن أرسل إليه رسالة صارمة جاء فيها: "أنه من يريد الحج إنما يدخل مكة بذل وسكينة، وأنت تريد تبتدع بدعة فاحشة، ونحن لا نمكناك من الدخول على هذه الصفة، فإن أردت السلامة فابعث إلينا الشريف ثقبه^(٣٠) يكون عندنا حتى نقضي الحج"^(٣١). وتمثل هذه الرسالة للأمير الحاج المصري جانباً إعلامياً مهماً وهو أنه يمثل

السلطنة المملوكية، استخدم فيها لغة القوة في مخاطبة السلطان الرسولي، وأظهرت سيادة المماليك على مكة، وعدم سماحهم لأي قوة أخرى بنزع ذلك منهم.

وفي السنوات الأخيرة من عصر المماليك البحرية وبالتحديد سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٩م سمع أمير الحج المصري عن قدوم محمل لليمن ومعه كسوة للكعبة، فمنع أمير الحاج المصري المحمل والحاج اليمني من دخول مكة، فأخذ أمير مكة في التوسط لدى الأمير المصري حتى وافق على دخول حاج اليمن، وكسا الأمير المصري الكعبة يوم النحر على العادة، وعادت الكسوة اليمنية إلى جبال اليمن، وماتت تطلعات اليمنيين في كساء البيت الحرام إلى الأبد^(٣٢).

ب- تقديم ذكر السلطان المملوكي في الدعاء والخطبة.

ومما يؤكد أهمية الجهد المملوكي للانفراد بالزعامة السياسية بالحجاز، حرص الظاهر بيبرس على استخدامها -أي تقديم ذكره في الدعاء والخطبة- مع أمير مكة والمدينة، لقوتها في تثبيت السيادة منذ الإشارة إلى بداية حكمه على الحجاز^(٣٣). ولضمان شيوعها؛ كتب السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م إلى البلاد الإسلامية بأخذ البيعة له والخطبة باسمه والدعاء له فوق منابرها بما فيها مكة والمدينة^(٣٤).

ومما يجب عدم إغفاله التأكيد على أن الخطبة لم تكن تفرد دائماً لسلطان مصر دون غيره^(٣٥). فقد ظل التنافس القوي مع سلاطين الدولة الرسولية التي توثقت علاقتها بأشراف مكة في هذه الفترة التي دُعي على منابرها لسلطان اليمن الرسولي الملك المظفر يوسف^(٣٦). وهذا ما دفع السلطان الظاهر بيبرس إلى تحين الفرص للدخول في علاقات مع أشراف الحجاز، وسنحت الفرصة إبان الخلاف بين أمير مكة [أبي نمي وعمه إدريس بن قتادة] سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م - قبل حج السلطان بيبرس - حيث قام أبو نمي بإرسال كتابا إلى الظاهر بيبرس يطلب مسانדתه، فلم يتردد بيبرس بالرد عليه بالموافقة ومساعدته مقابل شروط من أبرزها: إقامة الخطبة له على منبر المسجد الحرام^(٣٧).

ومما يلاحظ في هذا الكتاب أن أبا نمي هو من عرض على بيبرس إقامة الخطبة له (٣٨). ويؤيد هذا ما ورد في نهاية المكتوب، إذ طلب أبو نمي من بيبرس ألا يناصر عمه إذا طلب منه النصر. مما يوحي بتوجه إعلامي (دعائي) واضح للاعتراف بالسلطة المملوكية على الحجاز. وهذا يفسر كيف عمل أبو نمي على استغلال حاجة السلطان المملوكي له من الناحية الإعلامية (الدعائية) للدعاء له في الخطبة.

وهذا ما أكده السلطان المنصور قلاوون عندما قام بتحليف أبي نمي بما نصه "...وإنني والله، استمر بتفرد الخطبة... بالاسم الشريف المنصوري..." (٣٩). وتحليل النص فيما يخص الدعاء والخطبة، نجد أنه من الراجح أن المنابر كانت تصدع بالدعاء للسلطان المملوكي قبل هذا العام لقوله: "...استمر...". بيد أن الدعاء لم يستمر طويلاً فقد قطع في آخر سنة ٦٩١هـ/١٣٩٢م لصاحب اليمن. وعلل العز بن فهد ذلك بأنه يعود إلى أن صلوات صاحب اليمن كانت أجزء عطاءً من الصلوات التي تصل من صاحب مصر (٤٠)؛ وفي محاولة منهم لسرعة معالجة هذا الأمر لجأت السلطة المملوكية إلى الدخول في مراسلات مع شريف مكة لضمان استمرار الدعاء لهم من فوق منابر الحرمين. يؤكد ذلك ما ورد في سنة ٦٩٢هـ/١٣٩٢م أن الشريف أبا نمي خطب للسلطان الأشرف خليل، وأثبت ذلك بمحاضر أرسلها مع شيخ الحرم ابن القسطلاني (٤١) إلى السلطان المملوكي (٤٢). وما إثباتها بمحاضر مكتوبة وإرسالها إلى سلطان مصر، إلا دلالة على قطع الخطبة عن الآخرين بما فيها صاحب اليمن، علاوة على تأكيده بإفراد الدعاء للسلطان المملوكي. وهذا شاهد إعلامي صريح بمكانة صاحب مصر بين سلاطين العالم الإسلامي، وما يحمله من إشارة إلى قوته؛ بعدم السماح أن يدعى لغيره على منابر الحجاز.

ولعل ذلك يبين نجاح المماليك في الانفراد بذكر اسمهم في الدعاء والخطبة بالبيت الحرام بمكة المكرمة من أجل الانفراد بالزعامة السياسية بالحجاز، فما إن يطمع أحد المنافسين في تقديم

اسمه بالدعاء على السلطان المملوكي إلا يصله الرد سريعاً من مصر كما هو الحال عندما طمع صاحب اليمن الملك المؤيد هزبر الدين داوود (٦٩٦-٧٢١هـ/١٢٩٧-١٣٢١م)^(٤٣) ذكر اسمه قبل السلطان الناصر محمد، فكتب إليه هذا الأخير يتوعده وينذره عدم المساس بالسيادة المملوكية^(٤٤). وقد أشارت المصادر إلى مكاتبات تحمل التزام أشرف الحجاز بإفراد الخطبة للسلطين المماليك في كل موسم، ولا يشاركون فيها أحد^(٤٥). يؤكد ذلك ما ذكره ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) في رحلته للحج زمن الناصر محمد قلاوون من أن هناك أسماء لسلطين آخرين كان يخطب لهم بعد السلطان المملوكي: أولهم كان السلطان المجاهد نور الدين علي بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن علي بن رسول، ثم أمير مكة "... وقد دعا لسلطان العراق مرة، ثم قطع ذلك..."^(٤٦). وهنا يضيف ابن بطوطة الدعوة لملك العراق مع بني رسول؛ لأن القوتين كانتا قوتين متنافستين، ولكن يجدر الإشارة إلى أن الدعوة للعراقيين بالحجاز لم تنقطع بصورة أبدية زمن دولة المماليك الأولى يؤيد ذلك ما تشير إليه المصادر بأنه في رجب سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م توفي ملك بغداد (القان أويس) وكان يخطب له مع سلطان مصر على منابر مكة والمدينة. وكان أرسل من بغداد إلى مكة عدة قناديل ذهب، علق ت داخل البيت الشريف، كانت باقية معلقة داخل الكعبة زمن ابن إياس، وكان عددها ٤١ قنديلا^(٤٧).

ويبدو أن بني رسول كانوا يحافظون على ذكر اسمهم في الخطبة بالحجاز، وإن كانت في المرتبة الثانية بعد السلطان المملوكي، أحياناً بدفع الأموال، وقد ذكر ذلك مؤرخ الحجاز الفاسي من أن الخطيب القاضي محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم العقيلي كان يخطب لصاحب اليمن الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل العباس تقريباً سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م وما بعدها بمقابل "... وكان يصل إليه - يعني الخطيب العبدلي - من الأشرف صلة طائلة، في موسم كل سنة، بسبب خطبته له بمكة..."^(٤٨). وذلك يشير إلى توقع بني رسول قطع الخطبة لهم، ومحو أثرهم من الحجاز، وكانوا

يعالجون ذلك بالأموال التي ترسل للأشراف وللقضاة والفقهاء الحجازيين؛ حتى يظل لهم مكان بالديار المقدسة^(٤٩).

• ثالثاً: الأماكن المكية التي حرص المماليك على وجودهم السياسي فيها

حرص المماليك على أن تخلد ذكراهم في المشاعر لذا ظهرت أهمية عرفات كمكان للدعاية المملوكية وظهر ذلك مبكراً وبالتحديد منذ سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م حين حج صاحب اليمن - وكان هو صاحب الأمر بالحجاز آنذاك- وقد أرسل قبل رحيله الصدقات والأعطيات من العلوفات إلى مكة. وقضى نسكه والوقوف بعرفة "... فوقف في ناحية الصخرات وطلعت أعلامه الشريفة وأعلام صاحب مصر، فقال له الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام: هلا أطلقت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين؛ فقال له: أتراني أؤخر أعلام ملك كسر التتر بالأمس، وأقدم أعلامي لأجل حضوري..."^(٥٠). وعلى ذلك يكون الاعتراف بالسيادة المملوكية وأنها القوة العظمى التي لا يشق لها غبار، التي كسبتها من الانتصار العظيم على التتار في معركة جالوت. ومما يضيف قوة الوسيلة الإعلامية أنها جاءت من شخصية عظيمة صاحب تطلعات سيادية، لا تقل عن التطلعات المملوكية، فقد كانت الدولة الرسولية شبه المتصرف بالحجاز مع نهاية الدولة الأيوبية وإبان قيام دولة المماليك^(٥١).

فإن كان صاحب اليمن هو مصدر الدعاية السياسية فإن مشعر عرفات كان مكانها، وهو أمر يبرز أهمية شخصية وزمانية ومكانية لهذه الحادثة، كما أن الحدث له دلالاته وأهميته الإعلامية التي حافظ عليها السلاطين المماليك طوال فترة حكمهم. ومما لا يجب إغفاله أن مسألة رفع الرايات على عرفات هي مسألة دعائية مهمة فهي معبرة عن السيادة وليس أدل على ذلك من حفاظ المصادر على خبر رفع الرايات على عرفات بصفتها مكاناً للدعاية بشكل رئيس، فمثلا تشير المصادر في حوادث

سنة ٦٥٥هـ أنه "... لم يحج عن الآفاق ركب سوى حجاج الحجاز، ولم ترفع راية الملك عن الملوك وقت الوقوف بعرفة..."^(٥٢). وهو ما يدل على أهمية عرفات بالنسبة للوجود السياسي المملوكي بالحجاز من ناحية، وأهمية صعود الرايات وهي وسيلة للدعاية في هذا المكان من ناحية أخرى. حيث إن الزعامة في تقديم الرايات دليل على السيادة التي تخضع أمراء الحج الآخرين لها.

وفي نفس الصدد، كانت زمزم مكاناً للدعاء للسلطان المملوكي صاحب السيادة على الحجاز كما كانت قبة زمزم أيضاً مكاناً للتنافس الإعلامي في مسألة الدعاء للسلطين، من بني رسول والمماليك، خاصة في مراحل التوتر بين أمراء مكة والسلطة المملوكية، وقد اتخذت مكانا بغرض الدعاية السياسية للمماليك في مكة المكرمة من خلال إعلان وتعريف الحاضرين بوجود شخصية كبيرة المستوى كالسلطين أو النواب أو الأمراء ومن في حكمهم؛ ففي سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م عندما حج صاحب اليمن ظل طوال إقامته بالصلاة على قبة زمزم^(٥٣). والغالب أن علوها هو سبب ذلك الأمر؛ لكي يعلم الناس بوجوده، وكذلك ليتسنى له الاطلاع على مجريات الأمور داخل الحرم أثناء وجوده.

وفي السياق نفسه، يشير العز ابن فهد في حوادث سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م إلى قدوم المحمل اليمني وعدد مآثر سلطان اليمن بمكة وهداياه للأشراف "... وأعلن مؤذنه على قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الأشهاد وسمع تلك الأوصاف من ضمه ذلك المقام الشريف..."^(٥٤). -وهنا تأكيد على أمر أن في أوقات السيادة المملوكية وقوتها في الحجاز كان يتم الدعاء فوق قبة زمزم باستمرار لسلطان المماليك ثم سلطان اليمن في هذا المكان الإعلامي.

وكان من الآثار السياسية لمحاولات المماليك الانفراد بالزعامة السياسية -دون حكام اليمن بالحجاز- هو أن الدعاية المملوكية في الحجاز سهلت أمام المماليك الصعوبات التي واجهتهم للانفراد بالنفوذ والسيادة على الحجاز، فعلى جانب الرسولين حكام اليمن، والذين كانوا مصدر قلق دائم لدولة المماليك منذ نشأتها لعدة أمور، أهمها القرب الجغرافي، علاوة على طموحها المساوي

لطموح المماليك في السيطرة على الحجاز، لذلك كان بنو رسول يسعون لبقاء نفوذهم الممتد على الحجاز ليكسبهم مهابة سياسية ودينية^(٥٥)، وهو الأمر الذي لم يعجب مماليك مصر فوقوا بعد ذلك ضد كل قافلة يمنية، أو محمل يماني يصل إلى مكة وبصحبته كسوة للكعبة، بل بلغ بهم الحال أن حاولوا منعهم في بعض السنوات من دخول مكة وإكمال شعائر حجهم^(٥٦)، وقد لعبت التهديدات المملوكية بالحجاز دوراً مهماً في تدعيم تلك السياسة وإحراز هذه النتيجة الإيجابية بالنسبة للمماليك، ووضح دور الدعاية والتهديد في هذا الجانب مبكراً وبالتحديد في خطاب بيبرس إلى صاحب اليمن وقوله " ... فإن كنت ملكاً فاخرج والتق التتار..."^(٥٧)، والأهمية هنا تأتي من جهة أن خطاب بيبرس خرج من مكة فهو تهديد سياسي مملوكي ومن الحجاز وهو تهديد عسكري لحاكم اليمن عبر الدور البطولي الذي قام به المماليك في العالم الإسلامي وهو الأمر الذي لم يتحقق لأحد من حكام الدول الإسلامية، لذلك أرسل بيبرس هذا الخطاب إلى سلطان اليمن الملك المظفر يوسف، يقلل فيه من شأنه، وذلك حتى يرفع يده عن مكة المكرمة، ولا يدس أنفه في شؤون الحرمين، وهنا تبرز النتيجة السياسية للتهديد المملوكي، حيث أيقن بنو رسول في اليمن عدم مقدرتهم على مجابهة المماليك، لذلك آثروا إقامة العلاقات الودية معهم، وقد ساعد ذلك على تخفيف حدة التنافس على السيطرة أو بسط النفوذ بمكة، فكانت السفارات تخرج في كل عام من اليمن محملة بالهدايا متوجهة إلى القاهرة، وذلك إثباتاً لصدق نوايا حكام اليمن، وتأكيداً لعلاقاتهم الطيبة مع سلطان المماليك، وفي المقابل كان المماليك يبعثون بالهدايا إلى بني رسول^(٥٨).

• رابعاً: موقف المماليك من ركب الحجيج اليمني:

استمر بنو رسول يتعاقبون الحكم في اليمن ما بين قوة وضعف واتساع وانكماش، وكغيرها من الحكومات الإسلامية فقد اهتمت دولة بني رسول بتسيير حركة الحج إلى مكة المكرمة، واعتنت بتوفير الأمن واحتياجات القوافل الرسمية التي كان يخرج على رأسها السلاطين، ولم تتوقف اسهاماتهم في خدمة ركب الحجيج الذي لم يخرج فيه السلطان، وقد كانت مسألة الإعلام حاضرة في حركة الحجيج اليمني سواء خرج على رأسها سلطان اليمن أو لم يخرج. وكان مسير الحجيج اليمني يتم عبر

طريقين^(٥٩): بري وبحري، ويسمى البري الطريق التهامي والثاني هو الطريق الساحلي وهما طريقان متجاوران يلتقيان في عدد من المحطات حتى يتفرقا في السرين. والآخر هو طريق البحر.

وقد كانت جميع رحلات حج سلاطين بني رسول، المعاصرين لدولة المماليك الأولى، وحركة سير قوافلهم -على حد اطلاع الباحث- تتم عبر الطريق التهامي باتجاهيه^(٦٠). الأمر الآخر أن أخبار محمل الحاج اليمني التي وردت في المصادر وتعرض حجاج اليمن لهجمات العريان أو اعتداءات أمراء مكة تشير إلى أن محمل اليمن لم يسلك غير الطريق التهامي أيضاً^(٦١).

ويشير الجزيري إلى وجود دور اجتماعي/اقتصادي مهم لركب الحاج اليمني وهو أن بني رسول كانوا يرسلون صحبة المحمل خزانة عظيمة لأمير مكة فيها كثير من الأموال والمتاع والنفائس. أضف لذلك أموال أخرى تقسم كصدقات في الحرم المكي^(٦٢) وطالما أن الركب اليمني مكلف بحفظ هذه الهدايا ومهمته توصيلها لأربابها فهو يسهم في ضمان معيشة ميسورة للمحتاجين وغيرهم بالحجاز، وضمان وجود سياسي لليمنيين بمكة -ولو متأخرا عن المماليك- خاصة إذا ما علمنا أن سلاطين بني رسول كانوا يشنون حملات تأديبية ضد القبائل والأمراء المحليين إذا سمعوا بنيتهم التعرض للركب وهو ما نتج عنه تأمين هذه المحطات والمراكز والمسالك ودروب الحجيج اليمني، وبذلك تعد هذه الأماكن أماكن إعلامية لركب الحجيج اليمني^(٦٣). وطالما أن المماليك في مصر يفعلون من وسائل التأمين لحجيجهم ما تتناقله الحجاج وطالما هناك منافسة مملوكية -رسولية على الحجاز فجاء تأمين مسالك الحج اليمني من هذا الجانب.

ويعد ركب الحاج اليمني سنة ١٢٥٩هـ/١٢٥١م، وسنة ١٢٦١هـ/١٢٦١م مثالا واضحا جليا لدور الركب اليمني في المجال الديني والاجتماعي والاقتصادي، ففي العامين المذكورين حج الملك المظفر يوسف بن المنصور ومعه المراكب تسايه في البحر مشحونة بالميرة. وأكثر في الطريق من الخيرات فلما دنا من مكة خرج منها أبو نمي وعمه إدريس. فدخلها المظفر في عسكر جرار. فأقام

العسكر بالحجون، ودخل المظفر مكة منفردًا مع نفر له، مليبًا محرمًا، حتى دخل الطواف. فطاق وسعى، ولم تفته صلاة الجماعة مدة إقامته. وأمر بغسل الكعبة، وياشر ذلك بنفسه، فغسل وكنس، وطيبها، وكسى داخل البيت كسوة معتبرة، ولم يكس داخل البيت أحد قبله بعد الخلفاء العباسيين، وجعل للكعبة بابًا وقفلًا، ونثر على الكعبة الذهب والفضة، وعمّ أهل مكة بالإحسان، وقصد الناس إلى منازلهم بالصلة والكساوي. وأقام بعد قضاء نسكه عشرة أيام، ووزع خلال ذلك الصدقات على أهل مكة. كما شملت صدقاته الحجاج حين عودتهم إلى ديارهم، وعاد إلى بلده فعاد إليها الشريف إدريس وأبو نمي^(٦٤).

ويظهر هنا عدة أمور منها توافر الأمن بالركب اليمني، توافر الأدلاء والمرشدين والفقهاء، والعساكر المصاحبة للسلطان وهذا مشعر بالطمأنينة للحجاج، كما يضاف لذلك حرص الركب اليمني على اصطحاب الكثير من الطعام والشراب والمتاع للتوسعة على من معهم من الحجاج من ناحية، والتصريح عن أن الركب وسيلة للبر والصدقات في أثناء الطريق على كل من يجده أو يصادفه حجاج كانوا أو من أهل البلاد التي يمر عليها الحجاج اليمني ضمن المحطات والمراكز على طريق الحاج والتي تمثل أماكن للتعبير عن النفوذ اليمني، كما أن الركب في حالته تلك فيه إشارة إلى مكانة ونفوذ سلطان بني رسول وما اتصف به من خصال البر والخير. كما أن الركب اليمني على هذه الحالة أيضا هو مكان لتذكير أهل اليمن بأهمية الخروج صحبة ركب السلطان حيث سيُكفون مع هذه الصدقات والهبات عناء التفكير في هموم الزاد وما يتعلق بها. كما أن مسارعة أميري مكة بالهروب منها خوفًا من مقابلة ابن رسول لها وجه إعلامي كذلك يظهر في قوته وحكمه. من ناحية أخرى أن المحمل اليمني به علم السلطان الرسولي والعلم ما هو إلا تعبير عن وجود سياسي وبالتالي يكون أي ركب يمني/ رسمي مكان للوجود السياسي بسبب حملته للعلم.

والشيء الجدير بالملاحظة في هذا السياق هو أنه منذ فرض المماليك تواجدهم ونفوذهم الفعلي في بلاد الحجاز مع تولية الظاهر بيبرس زمام السلطنة انقطع ذكر الركب اليمني حتى عام ٦٧٤هـ/١٢٧٦م^(٦٥). وغاب معه أي وجود للنفوذ السياسي، والراجح أن سببه هو صراع السيادة الذي خاضه بنو رسول مع المماليك من أجل الحجاز.

ولا نعلم إن كان إهمال ذكر خبر ركب الحاج اليمني راجعاً لعدم اهتمام المؤرخين بالحج اليمني بعد حج الظاهر بيبرس ومن ثم قوة الدولة المملوكية بالحجاز، أم راجعاً لعدم خروج الركب اليمني ومن ثم غياب الدلالات السياسية، لأنه حتى السنوات التي أوردت فيها المصادر المكية خبر الحج اليمني كانت تكتفي بقولها بأن "الركب اليمني حج في نفر قليل" حتى هذه الإشارة لا تأتي إلا بصورة متقطعة جدا في السنوات من ٦٤٧هـ/١٢٤٩م حتى ٦٩٦هـ/١٢٩٧م^(٦٦).

ففي عام ٦٩٦هـ/١٢٩٧م عاد الوجود السياسي لركب الحاج اليمني للحضور وذلك بعد أن قام الملك المؤيد داود بن مظفر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول بتجهيز محمل الحاج، صحبة أحد قادته العسكريين^(٦٧) وقد بعث السلطان المؤيد صحبة المحمل للشريف أبي نمى أمير مكة بكثير من الهدايا. ويذكر ابن فهد أنه وصل إلى الشريف ما اقتضته المواهب السلطانية مما كان قرره الخليفة مظفر والد المؤيد من العين والغلة والكساوي والطيب من المسك والعود والصندل والعنبر والنباب الملونة والخلع النفيسة، وكان مبلغ العين ثمانين ألف درهم ومبلغ الغلة أربعمائة^(٦٨). وكان ذلك سبباً ليكون الركب اليمني مكاناً قوياً للنفوذ السياسي الحجازي آنذاك حيث قام الشريف أبو نمى بإعلان مناقب السلطان على قبة زمزم، وحلف للسلطان الملك المؤيد الأيمان المغلظة، وكتب على قميصه ما جرت به العادة^(٦٩).

لا شك أن الركب في هذا العام مثل مكاناً للتعبير عن الوجود السياسي لليمن في الذهاب والإياب من حيث الحديث عن هدايا سلطان اليمن الموجودة في الركب المغادر إلى مكة، ثم الحديث

عن إعلان مآثر ابن رسول على قبة زمزم طوال طريق العودة للركب اليمني، وكل ذلك يأتي في إطار التنافس المملوكي اليمني / السياسي بالحجاز .

ومما يلاحظ أنه ليس هناك حادثة واحدة ذكرتها المصادر -على حد اطلاعي- تم فيها الاعتداء على الحجيج اليمني من قبل العريان وكان السلطان على رأسها أو قائد للمحمل أو حتى العلم السلطاني. لأن السلاطين من بني رسول كانوا يعتنون بالقافلة المعدة للمحمل فيخرج معها كثير من العساكر أما إن كان السلطان على رأسها فإنه يصطحب عسكرا كثيرا^(٧٠)، وذلك يمثل وجودا عسكريا رسوليا لركب الحجيج اليمني .

على أية حال ، تختلف سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م عما سبقها بخصوص اعتبار المحمل مكان للنفوذ السياسي^(٧١) ففي العام المذكور تجهز الحاج اليمني ومعهم صنجقاً مع الحجاج عوضاً عن المحمل، وينصب ذلك الصنجق مع بقية الصناجق السلطانية بعرفات^(٧٢)، وهو تطور ملحوظ ومهم في الدور السياسي لركب الحجيج اليمني.

بعد الناصر محمد عادت محاولات الوجود السياسي عبر الجانب الاجتماعي/الاقتصادي للمقدمة من خلال الركب اليمني للظهور، ففي عام ٧٤٢هـ/١٣٤٢م توجه الملك المجاهد بن المؤيد صاحب اليمن إلى الحج ومعه الشريف ثقبه بن رميثة بن أبي ندى، وعندما وصل إلى يللمم أمر بنصب الأحواض التي ملئت بالماء، ويوضع فيها السويق والسكر وسبلها للناس وتصدق بدراهم وثياب للإحرام، وهنا تعد يللمم مكانا للتعبير عن النفوذ السياسي للركب اليمني ، يرجح ذلك أنه وصل إلى المجاهد الرسولي وهو في يللمم الشريف رميثة بن أبي ندى، ومعه سائر الأشراف والأعيان للسلام عليه فتصدق عليهم جميعاً، وأعطى للشريف رميثة من النقد أربعين ألف درهم، ومن الكسوة وأنواع الطيب والمسك والعنبر والعود^(٧٣) كما أنه خلع على أبي ندى وعلى الأشراف، ثم توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، هذه الهدايا التي أعطاها الملك المجاهد لأشراف مكة لكسب المزيد من الحظوة

التي تُؤهله فيما بعد للسيطرة على الحجاز، يحملها الركب وبالتالي يعد الركب اليمني مكانًا للتعبير عن التواجد السياسي/ الحجازي القوي مرة أخرى. ومما يؤكد أن الركب كان مكانًا للتصريح عن عودة الظهور السياسي للركب اليمني أن المجاهد غادر مكة يوم الإثنين الرابع عشر من ذي الحجة، وهو متغير خاطر على بنى حسن أشرف مكة لأنهم منعه من كسوة الكعبة، وتركيب باب جديد لها^(٧٤). فالهدايا كانت دعاية والركب مكان للدعاية ولكن منع من تنفيذ الغرض السياسي خوفًا من بطش سلاطين المماليك. والشاهد أن ذلك التنافس السياسي المملوكي - الرسولي كان الركب مكانه والهدايا أدواته.

وحتى نهاية عصر المماليك البحرية لم تفدنا المصادر بأية خبر - على حد اطلاع الباحث - عن المحمل والركب اليمني سوى مرات ثلاث: الأولى سنة ١٣٥٩هـ/٧٦٠م وفيها تشير المصادر لقلة الحجيج اليمني وموت بعضهم في الطريق وبالتالي لا يمكن استخراج شواهد للنفوذ والصراع السياسي من ذلك الخبر^(٧٥). أما المرة الثانية فكانت سنة ١٣٧٨هـ/٧٨٠م ولها أهمية في نقطة البحث حيث توجه فيها الركب اليمني إلى مكة ومعه المحمل وكسوة يمنية للكعبة بقيادة الأمير فخر الدين بهادر السنبللي وقد قام بتجهيزه الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس المجاهد. ولكن الأمير قراد مرداش منعه من دخول مكة، فتوسط أمير مكة الشريف حسن بن عجلان فدخلوا في صحبة محملهم، ووقفوا بعرفة وقضى الناس حجهم^(٧٦). وربما من المهم أن نؤكد أن الكسوة أداة للنفوذ السياسي والركب مكان لهذه الأداة. وقد عادت الكسوة اليمنية إلى جبال اليمن، وماتت تطلعات اليمنيين في كساء البيت الحرام للأبد^(٧٧).

أما المرة الثالثة التي جاء فيها ذكر خبر الركب اليمني فكانت في سنة ١٣٧٩هـ/٧٨١م التي قدم فيها الركب اليمني ومعه محمل^(٧٨).

الخاتمة:

من خلال البحث اتضح ما يلي:

- برز التأثير السياسي للوجود المملوكي بالحجاز بشكل قوي، لأنه في هذه الحالات كان وجوداً عسكرياً يستعرض المماليك فيه قوتهم وانتصاراتهم، ولكن يجب الإقرار أن الأمر لم ينته بالنسبة للأطماع الرسولية على الرغم من قوة النفوذ المملوكي، ولكن حدث تلطيف أو تخفيف لحدة التنافس حول بسط النفوذ على مكة، وليس تلاشي هذا التنافس.
- كان النفوذ السياسي المملوكي في الحجاز المعبر عن قوة مصر أداة ونتيجة لإقرار الوضع لصالح المماليك، ولعل ذلك ظهر جلياً في الحامية العسكرية التي كانت تصاحب ركب الحاج المصري، والتي كانت كبيرة في عدد جنودها حتى كانت كفيلة بتحقيق كل أهدافها السياسية.
- عبرت كسوة الكعبة عن موقف سلاطين المماليك البحرية من الوجود السياسي لليمن في مكة المكرمة؛ فنحو الكعبة تهفو القلوب وحولها يطوف المسلمون وأعينهم على كسوتها، وعلى من أمر بنسجها وتعليقها وحماية البيت، ويجب أن نتفهم ذلك في إطار وجود منافسة من القوى الإسلامية الأخرى كي يكون لهم موطئ قدم بالحجاز.
- عدّ الشريف هو أداة السلطان في إقرار السياسة المملوكية جهة الأمن وتيسير الأعمال ببلاد الحجاز، فإن الخطبة ومن يقوم بها كان أداة السلطان المملوكي المعلنة عن هذه السياسة بالدعاء على زمزم وفي الصلوات للسلطان المملوكي خادم الحرمين.
- لعل أهم الأهداف المملوكية بمكة المكرمة إنزال الرعب في قلوب المناوئ والعاصي، نضرب مثال يدل على ذلك: بما حدث عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، حيث أورد الخزرجي أن

- صاحب اليمن تفقد قواته، وأخذ حذره ووزع عسكره في كل مكان خشية من أمر الحامية العسكرية المصرية المصاحبة للركب، حتى أطلق عليها الخزرجي أنها (جيش).
- الصيت المملوكي في الحجاز كان نتيجة لقوة المماليك الذين اجتهدوا في تنمية هذا الشعور لدى حكام المنطقة من وقت لآخر للتأكيد على أن الحجاز خطأً مملوكياً أحمر، لا يجوز الاقتراب منه.
 - زاد المماليك من تأكيد سيادتهم في بلاد الحرمين من خلال قيامهم بتأكيد ما اتفق عليه ببيرس مع الشريف أبي ندى من تبعية أشرف مكة للسلطة المملوكية، عن طريق رفع المظالم، وكتابة اسم السلطان على العملة التي تضرب بمكة، مع تقرير الأموال للأشرف في كل عام.

(١) أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، القاهرة، المعهد العلمي للآثار الشرقية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م، ص ١٧٢.

(٢) الحج، آية ٢٦: ٢٧.

(٣) ففي سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م بايع شريف مكة المستنصر الحفصي خليفة للمسلمين، لمزيد من التفاصيل راجع السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٥م، ج ٣ ص ٢٨.

(٤) مما ينبغي الإشارة إليه أن جماعة من المغول قد أظهروا إسلامهم قبل نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وعقد صاحبهم صلحاً مع السلطان محمد الناصر في مصر، وإن أعقبه بعض المعارك الدامية - مثل معركة شقحب- لتغير موقف صاحب المغول. بيد أن هناك جماعة منهم أعلنوا إسلامهم. البرزالي؛ القاسم بن محمد (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م): المقتفي لتاريخ أبي شامة، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، ط ١ (عمان: الآثار الشرقية، ١٤٤٠هـ)، ج ١، ص ٣٨٦؛ ابن تغري بردي؛ جمال الدين المحاسن (ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د.ط، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٨م)، ج ٨، ص ص ٥٩-٦٠.

(٥) انشغاله بأمور الحكم التي لم تكن قد استقرت له وأنه شغل ببعض المشاكل الداخلية أبرزها التخلص من منافسيه وإخضاعه للحصون والمعازل ومحاولة السيطرة على مناطق النقل الاقتصادي باليمن، لمزيد من التفصيل عن حياة السلطان المظفر الأول يوسف بن عمر انظر: الياحي؛ محمد بن حاتم (ت بعد ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م): السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ركس سميث، لندن، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٢٤١-٢٦٦.

(٦) مورتييل ريتشارد: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ط ١ (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ)، ص ٥٠.

(٧) هو محمد أبو نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة الحسني، شريف حسني، من أمراء مكة، كان شجاعاً حازماً، من كبارهم. قال الذهبي: قال لي الدباهي: لولا أنه زيدي لصلح للخلافة، لحسن صفاته. شارك أباه في

الإمارة سنة ٦٤٧ هـ ووثب على عم أبيه (إدريس بن قتادة) سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م فقتله، واستقل بالإمارة. واستمر إلى أن توفي بمكة، الفاسي؛ محمد بن أحمد (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ج٢ ص١٥٧.

(٨) هو إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني؛ ولي إمارة مكة نحو سبع عشرة سنة، شريكاً لأبن أخيه أبي نمي في أغلبها، وانفرد بها وقتاً من الزمن. وقع خلاف بينهما كثيراً، انتهى إلى قتله على يد أبي نمي سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م، الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، د. ن دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، ج٣، ص ١٧٥-١٧٦ ترجمة ٧٤٣.

(٩) التجيبي؛ القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م): مستفاد الرحلة والاعتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور د.ط، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥م)، ص ٢٩٧.

(١٠) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ و الوثائق و الآثار، (القاهرة: الدار الفنية، ١٩٨٩م)، ص٢٦٨.

(١١) ابن فهد؛ محمد بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م): إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهد محمد شلتوت، د.ط (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ) ج٣، ص٨٤.

(١٢) المقرئزي؛ أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيادة، ط١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م)، ج٢، ص ٥٧٩.

(١٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ١٤٨-٢-١٥٢، ترجمة ١٤٤.

(١٤) في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م حج الملك المظفر صاحب اليمن وعند الوقوف بعرفة طلعت إعلامه مضمومة إلى إعلام مصر، فقال له من حوله لو اطلعت إعلامك قبل الإعلام المصرية فقال: "أتزاني أواخر إعلام ملك كسر عساكر النتر.. الخرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني، مصر، مطبعة دار الهلال، ١٣٢٩هـ، ج١، ص١٣٤؛ الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص ٥؛ المقرئزي: السلوك، ج٢، ص ٥٧٩؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج٣، ص ٨٣.

(١٥) قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (القاهرة: دار عين، ٢٠١٠م)، ص٢١٥ وهو يتناول مسألة الواجهة الدينية المتمثلة في إحياء الخلافة والحرمين في سياسة بيبرس؛ نجوى كمال كيرة : انعكاس حركة المرتحلين على

- ثقافة سيناء والبحر الأحمر في العصر المملوكي، كتاب جدل الموضوعية والذاتية في كتابة تاريخ مصر، تحرير ناصر احمد إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م)، ص ٧٤.
- (١٦) خالد محمد العمارة: موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، د.ط (الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٨هـ)، ص ٧٥.
- (١٧) قاسم عبده: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٩.
- (١٨) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٢٨٩.
- (١٩) النويري؛ أحمد بن عبد الوهاب القرشي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الادب، ط ١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ، ج ٣٢، ص ١٥٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٣٥٠.
- (٢٠) السمهودي؛ علي بن عبد الله بن أحمد الحسني (ت ٩١١هـ/١٥٠٦م): الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: تهامة للنشر، د.ت وفا الوفاء، ج ٢، ص ١٦.
- (٢١) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٩٧.
- (٢٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ٥٩؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٨٨.
- (٢٣) اليونيني؛ موسى بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م): نيل مرآة الزمان، ط ١، حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤م، ج ١، ص ٥٣٤-٥٣٥.
- (٢٤) ابن حبيب؛ الحسن بن عمر الحسن (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عاشور، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م) ج ٢، ص ٣٨٠. والوثيقة وقف الناصر محمد، نشرها محمد محمد أمين، ملحقاً بهذا الكتاب؛ ينظر إلى ملحق رقم (١) من الملاحق.
- (٢٥) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٧٦-٧٧؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٤٧-٢٤٨؛ العقد الثمين، ج ٦، ص ١٧١-١٧٢.
- (٢٦) الأمير سيف الدين أمير سلاح الناصري أحد أمراء المئات ومُقدّم الألواف بالقاهرة. أحد الامراء الذين حجوا سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م وهم بيبغاروس وطاز وغيرهم وهم الذين خلعوا السلطان الملك الصالح بن محمد قلاوون سنة

١٣٥١/هـ٧٥٢م وتولى بزلاز أمر تحليف العساكر الشامية بدمشق. وتوفي سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م قبل أن يحقق هدفه بتولي نيابة دمشق. الصفدي؛ صلاح الدين ابن أبيك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وغيره، ط١ (دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ)، ج ١، ص ٦٨٩ ج ٢، ص ٥٤٨؛ الوافي بالوفيات، تحقيق محمد الارناؤوط وتركي مصطفى، د.ط، بيروت: دار احياء التراث، ١٤٢٠هـ، ج ٩، ص ٢٧١؛ المقرئ: السلوك، ج ٢ ق ٣، ص ٨٤٤؛ ابن حجر؛ أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط ٢ (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ) ج ٥، ص ٤٣٢ ترجمة ١٧٩٧، ج ٢، ص ٨.

(٢٧) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٤٨.

(٢٨) ريتشارد مورتييل: الأحوال السياسية، ص ٩١.

(٢٩) هو طاز بن قطاج سيف الدين، من الأمراء أرباب الحل والعقد، له العديد من المشاركات العسكرية التي اعتمد عليها السلاطين المماليك بالفترة ما بعد الناصر محمد بن قلاوون، توفي في دمشق سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م. وترجمته مطوله عند؛ ابن أبيك الصفدي: أعيان العصر، ج ٢، ص ٥٦٧-٥٧٠.

(٣٠) هو ثقبه بن رميثة بن ابي نمي الحسني ولي امرة مكة سنين متعددة شريكا ومنفردا، وكانت بداية امارته شريكا لأخيه عجلان بحياة ابيهما تنازلا منه لهما مقابل مبلغ من المال سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م. وفي سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م انفرد بالإمارة وقطع ذكر أخيه عجلان. لم تستقر له الإمارة فأصبحت في تذبذب مستمر على أثره تذبذبت علاقته مع دولة المماليك أيضاً، فأحيانا يواليهم وأحيين أخرى يخالفهم باعتراض التجار والحجاج. وظل على هذا الحال حتى توفي في سنة ٧٦٢هـ وكان ميالا للزيدية. الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٥٩.

(٣١) المقرئ: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م، ص ١٤٤-١٤٥.

(٣٢) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣٣) بموجب المرسوم الذي أصدره الخليفة العباسي للسلطان الظاهر بيبرس بتقليده البلاد الإسلامية، بما فيها الحجاز في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م بعد إثبات النسب العباسي، في خطبة مختصرة حضرها السلطان والأكابر والقضاة،

وخلع على الملك الظاهر. ثم أُرِدفت المصادر مبينة عمومية الخطاب على الأقطار الإسلامية، وانتشار كتب بيعته بالآفاق؛ إعلاماً بأن المماليك (السلطان الظاهر بيبرس) صاروا أصحاب السيادة على كل أملاك الدولة الإسلامية بما فيها الحجاز. ومما يؤكد الواجهة الإعلامية أن السلطان بيبرس أمر بإحضار الأكابر من الأمراء والفقهاء والقضاة والنواب والعلماء وأمر بإحضار العُربان الذين حضروا من العراق، ورأوا التقليد الذي برز من خلاله الدور الإعلامي الجلي. وقصد بيبرس من إحضار العُربان - وهم قوة لا يستهان بها - ضمان السيادة على الأراضي المشار إليها بالخطاب. كما أنه هدف من ذلك انتشار خبر البيعة إعلامياً، وأن المماليك هم أصحاب السيادة على المناطق الإسلامية المذكورة والطرق الموصلة إليها من التجار والحجاج وغيرهم. أبو شامة؛ عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، تحقيق محمد زاهد المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بذييل الروضتين، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٤٧م) ص ٢١٣؛ ابن واصل؛ محمد بن سالم بن نصر الله (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق عمر تدمري، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ) ج ٦، ص ٣١٣-٣١٨، ورد نص تقليد الخليفة للسلطان بيبرس عند: المنصوري؛ بيبرس الدوادر المصري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س. رينشاردز، ط١ (بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤١٩هـ) ص ٦١-٦٥. وانظر مناقشة: حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، د.ط (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية د.ت)، ص ٩٩.

(٣٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٦ ص ٣٨١؛ بيبرس الدوادر: زبدة الفكرة، ص ٦١؛ الفاسي، العقد الثمين، ج ٢ ص ١٥١؛ العصامي؛ عبد الملك بن حسين المكي (ت: ١١١١هـ/١٧٠٠م): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل احمد وعلي محمد معوض، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٣٥) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ١، ١٣٥؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٨٤.

(٣٦) ابن فهد، إتحاف الوري، ج ٣، ص ٧٤؛ مورتييل: الأحوال السياسية، ص ٦٦؛ ويعلل أحد الباحثين أن سبب وثاق العلاقة بين صاحب اليمن وأمراء الحجاز في تلك الفترة يعود إلى انشغال السلاطين المماليك بالتصدي للأخطار المحدقة بهم؛ العيسى؛ خالد بن عبد الله: علاقة سلاطين بنو رسول بمصر، (٨٥٨-٦٢٦هـ/١٢٢٨-١٤٥٣هـ) رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ، ص ٧٨.

(٣٧) ابن عبد الظاهر؛ محيي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط ١، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م، ص ٣٥١-٣٥٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٥١؛ المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٥٧٩؛ ابن فهد؛ عبد العزيز بن عمر بن محمد (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م): غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط ١ (مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٩هـ)، ج ٢، ص ١٢.

(٣٨) مورتييل: الأحوال السياسية، ص ٦٧.

(٣٩) ابن الفرات؛ محمد بن عبد الرحيم (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين رزيق، د. ط، بيروت: المطبعة الاميركانية، ١٩٤٢هـ، ج ٧، ص ٢٤٨.

(٤٠) غاية المرام، ج ٢، ص ٢٠.

(٤١) هو "محمد بن محمد بن أحمد يعرف بالشيخ الإمام أمين الدين أبو المعالي ابن الشيخ قطب الدين أبي بكر بن القسطلاني المكي، شيخ الحديث بالحرم. ولد بدار العجلة في مكة سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، مات في مستهل المحرم سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٥م؛ البرزالي، المقتفي، ج ٤، ص ١٧٩؛ الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج ٥، ص ١١٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٥، ص ٤٣٢ ترجمة ١٧٩٧.

(٤٢) المقرئ: السلوك، ج ٣، ص ٧٨٦، ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ١٢٣؛ الجزيري؛ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر (ت ٩٤٤هـ/١٥٣٨م): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، ط ١، الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٤٠٣هـ، ج ١، ص ٣٨٣؛ وينظر مناقشة السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم، ج ١، ص ٢٩٨-٣٠٠.

(٤٣) داوود بن يوسف بن عمر بن رسول التركماني، الملك المؤيد هزير الدين، ملك اليمن نيفاً وعشرين سنة، ملك بعد أخيه الأشرف سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م حتى مات في ذي الحجة سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م. الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م): العبر في خبر من غبر، د. ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ج ٤، ص ٦٢؛ ابن شاکر؛ محمد بن شاکر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ط ١ (دار صادر، بيروت: ١٩٧٣م) ج ١، ص ٤٢٨؛ الصفدي: أعيان العصر، ج ٢، ص ٣٥٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٢٤؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ٥، ص ٣٠٧.

- (٤٤) البرزالي: المقتفى، ج٤، ص٣٠١؛ المقرئزي: السلوك، ج٢ق١، ص٣٢-٣٣.
- (٤٥) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، ج٧، ص٢٤٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٤٦٢-٤٦٣؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج٣، ص١١٣-١١٤؛ مورتييل: الأحوال السياسية، ص٧٢-٧٣.
- (٤٦) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ، ص١٤٦. وفي سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م كتاب كتبه أبو نمي صاحب مكة لعلاء الدين صاحب الديوان ببغداد يتضمن الدعاء له ولأخيه؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٤، ترجمة ٥٤٥ وهو يشير إلى وجود الخطبة للعراقيين من باكر، وغالبا كانت بدافع الأموال.
- (٤٧) ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي(ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط٢، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت، ج١ ق٢، ص١٤١.
- (٤٨) العقد الثمين، ج٢، ص٢٠ - ٢٢.
- (٤٩) لم يكن أسلوب قطع الخطبة من قبل الأشراف وليد دولة المماليك إذ استخدم الأشراف الخطبة وسيلة تبعية بغرض الضغط على الطرف الآخر أو ضعفه فنجد أن العبيدين في مصر عندما أصابهم القحط والجوع قطعت الخطبة عن المستنصر العبيدي صاحبها مصر سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م، وأعاد الخطبة العباسية بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة، وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وللسلطان ألب أرسلان السلجوقي. من نص الخطبة: ((الحمد لله الذي هدى بأهل بيته إلى الرأي المصيب، وعض بنيه بلبسه الشباب بعد المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة أصل لجماعة...)) وهكذا نجد أن الخطبة أصبحت وسيلة ضغط يستخدمها الأشراف على القوى الخارجية للاستفادة من نفقاتهم وأعطياتهم ومتى ضعفت منعت الخطبة لهم. الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص١٣٣ - ١٣٧.
- (٥٠) الخرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٣٤؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج٣، ص٨٣.
- (٥١) العيسى: علاقة سلاطين بنو رسول بمصر، ص٧٥-٧٧.
- (٥٢) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١٩٢؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٣٨؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج٣، ص٧٩؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ص٢٧٩.

- (٥٣) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ١٢٤؛ العصامي، سمط النجوم، ج ٤، ص ٢٣٧.
- (٥٤) غاية المرام، ج ٢، ص ٢١-٢٢.
- (٥٥) مرجع ذلك أن بني رسول اعتادوا منذ استطاع السلطان نور الدين عمر بن رسول بث سلطانه على مكة في أواخر عهد الأيوبيين، الخطبة له في مكة وبناء المبرات كالمدارس والربط، وإدخال عدة إصلاحات في مكة وتوزيع الصدقات؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٧٧ - ٧٨؛ بن فهد، إتحاف الوري، ج ٣، ص ٥٨-٦٠. ومن ثم قيام الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول بكسوة الكعبة.
- (٥٦) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ص ٣٤٥؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٣١-٣٣٢؛ محمد منصور حاوي: الأوضاع الأمنية لحركة حجاج اليمن في عصر الدولة الرسولية، اللقاء العلمي السنوي السادس، ٢٠٠٥م، الكويت، ص ٣٥١.
- (٥٧) المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٥٨٢.
- (٥٨) بيبيرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص ١٣٨؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٣٦٠-٣٦١..
- (٥٩) عن هذه الطرق بالتفصيل ينظر: آمنة حسين جلال: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، جامعة ام القرى، ١٤٠٧هـ، ص ١٣٢-١٤٧؛ محمد محمود: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ) ص ١٠١-١٠٧؛ هيام علي عيسى: الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٤٣١هـ، ص ٣٩.
- (٦٠) فصلت آمنة جلال: طرق الحج، ص ٢٧-٣٦ الحديث في طرق الحج اليمني، لذلك كفتنا مؤنة ذلك، حتى لا يتكرر ما ورد عندها، كما أن الموضوع عن الإعلام في الركب وليس الطريق هو موضوع البحث.
- (٦١) على سبيل المثال: ابن فهد: إتحاف الوري ج ٣، ص ٢٧٠؛ ٢٧٨؛ الجزيري: درر الفوائد، ج ١ ص ٤١١، ٤١٢.
- (٦٢) درر الفوائد ج ١، ص ٣٧٧-٣٧٩، وخبر مشابه في إتحاف الوري ج ٣، ص ٣٢٢.
- (٦٣) الخزرجي: المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العربية اليمنية، ط ٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٣١٠، ٥٠٣.

- (٦٤) - الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ١٣٤؛ المقرئزي: الذهب المسبوك، ص ٨٤ - ٨٥؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٥٤، ٨٢.
- (٦٥) - ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ١٠٧.
- (٦٦) - ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ١٠٨، ١١١، ١١٧، ١١٥.
- (٦٧) - ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ١١٨.
- (٦٨) - الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٦٥؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ١٢٩.
- (٦٩) - الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٦٥؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٤٢.
- (٧٠) الخزرجي: العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٥، ٣٣٥.
- (٧١) - ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٤٣.
- (٧٢) - ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٤٣.
- (٧٣) - ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٢١؛ الجزيري: الدرر، ج ١، ص ٦٤٣.
- (٧٤) - الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٧٢ - ٧٣.
- (٧٥) - الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٨٦؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٤٥.
- (٧٦) - الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٨٧.
- (٧٧) ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٣١ - ٣٣٢.
- (٧٨) الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٩٦؛ ابن فهد: إتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٠٨، الجزيري: الدرر، ج ١، ص ٦٦٥ - ٦٨٤. الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٩٦.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت ٥٢٣/هـ ١٠٩٣ م):

بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط٢، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت.

البرزالي؛ القاسم بن محمد (ت ٧٣٩/هـ ١٣٣٩ م):

المقتفي لتاريخ أبي شامة، تحقيق عبد الرحمن العثيمين ومعه، ط١ (عمان: الأثار الشرقية، ١٤٤٠ هـ).

ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩/هـ ١٣٧٧ م) :

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي الكتاني، ط٢، بيروت: دار الرسالة، ١٣٩٩ هـ.

التجيبى؛ القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠/هـ ١٣٣٠ م) :

مستفاد الرحلة والاعتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور د.ط، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥ م).

ابن تغري بردي؛ جمال الدين أبو المحاسن (ت: ٨٧٤/هـ ١٤٧٠ م):

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق سعيد عاشور، د.ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

_____، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د.ط، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة،

٢٠٠٨ م).

الجزيري، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر (ت ٥٣٨/هـ ١١٤٤ م):

الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، ط١، الرياض: منشورات دار اليمامة،
١٤٠٣هـ.

ابن حبيب؛ الحسن بن عمر الحسن (ت١٣٧٧هـ/١٧٧٩م):

تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد أمين، مراجعة سعيد عاشور، (القاهرة: الهيئة
المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م)

ابن حجر؛ احمد بن علي العسقلاني (ت١٤٤٨م/١٨٥٢هـ):

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط٢ (الهند: مجلس دائرة
المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ)

الخرجي، علي بن الحسن (ت١٤٠٩م/١٨١٢هـ):

العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني ، مصر، مطبعة دار الهلال،
١٣٢٩هـ.

الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان (ت١٣٤٨م/١٧٤٨هـ):

العبر في خبر من غير، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)

السلوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م):

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء،
١٩٥٥م

السمهودي؛ علي بن عبد الله بن أحمد الحسني (ت١٥٠٦م/١٩١١هـ):

الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: تهامة للنشر، د.ت.

ابن شاکر؛ محمد بن شاکر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م):

فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م)

أبو شامة؛ عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م):

تحقيق محمد زاهد المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بذيل الروضتين، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٤٧م)

الصفدي؛ صلاح الدين ابن أبيك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م):

أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وغيره، ط١ (دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ)

_____، الوافي بالوفيات، تحقيق محمد الارناؤوط وتركي مصطفى، د.ط، بيروت: دار احياء التراث، ١٤٢٠هـ.

العصامي؛ عبد الملك بن حسين المكي (ت: ١١١١هـ/١٧٠٠م):

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل احمد وعلي محمد معوض، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج ٤، ص ٢٣٨.

الفاسي؛ محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م):

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، د. نا: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

_____ : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١، بيروت:

دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

ابن الفرات؛ محمد بن عبد الرحيم (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):

تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين رزيق، د.ط، بيروت: المطبعة الاميركانية، ١٩٤٢هـ.

ابن فهد؛ عبد العزيز بن عمر بن محمد (ت: ١٥١٦م/١٩٢٢هـ):

غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط١ (مكة المكرمة: مركز احياء التراث الإسلامي، ١٤٠٩هـ)، ج ٢، ص ١٢

ابن فهد؛ محمد بن محمد بن محمد (ت: ١٤٨٠م/١٨٨٥هـ):

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ١٤٤٢م/١٨٤٥هـ):

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م.

_____ : السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيادة، ط١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م).

المنصوري؛ بيبرس الدوادار (ت: ١٣٢٥م/١٧٢٥هـ):

التحفة الملوكية في الدولة التركية، تقديم عبد الحميد صالح حمدان، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٧هـ.

_____ ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، ط١ (بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤١٩هـ)

النويري؛ احمد بن عبد الوهاب القرشي (ت: ١٣٣٢م/١٧٣٢هـ):

نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ.

ابن واصل؛ محمد بن سالم بن نصر الله (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م):

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق عمر تدمري، ط ١ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ).

اليامي؛ محمد بن حاتم (ت بعد ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) :

السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ركس سميث، لندن، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

اليونيني؛ موسى بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م):

ذيل مرآة الزمان، ط ١، حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤م.

• ثانيًا: المراجع:

آمنة حسين جلال: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، جامعة ام القرى، ١٤٠٧هـ.
أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، القاهرة، المعهد العلمي للأثار الشرقية، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م.

حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ و الوثائق و الآثار، (القاهرة: الدار الفنية، ١٩٨٩م).

حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، د.ط (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية د.ت)

خالد محمد العمارة: موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٨هـ).

خالد بن عبد الله العيسى: علاقة سلاطين بنو رسول بمصر، (٨٥٨-٦٢٦هـ / ١٢٢٨-١٤٥٣هـ)
رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ، ص ٧٨.

ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ط ١ (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ).

قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (القاهرة: دار عين، ٢٠١٠م).

محمد محمود العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ).

محمد منصور حاوي: الأوضاع الأمنية لحركة حجاج اليمن في عصر الدولة الرسولية، اللقاء العلمي السنوي السادس، ٢٠٠٥م، الكويت، ص ٣٥١.

نجوى كمال كيرة: انعكاس حركة المرتحلين على ثقافة سيناء والبحر الأحمر في العصر المملوكي، كتاب جدل الموضوعية والذاتية في كتابة تاريخ مصر، تحرير ناصر احمد إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م).

هيام علي عيسى: الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٤٣١هـ.